بسم الله الرحمن الرحيم

هذا تفريغ لمحاضرة صوتية بعنوان (الشِّرك وشِرك الطاعة) والتي ألقيت يوم الأحد 9 – محرم – 1435 والموافق 2 -11-2014

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله , اللهم أرنا الحق حقا وأعنا على اتباعه وأرنا الباطل باطلا وأعنا على اجتنابه , اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا اللهم اجعلنا من العاملين بعلمنا اللهم اجعل علمنا حجة لنا يوم نلقاك ولا تجعله حجة علينا يا رب العالمين , اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أُضل , أو أزل أو أُزل , أو أظلم أو أُظلم , أو أجهل أو يُجهل علي , رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي اللهم اجعل عملي صالحا ولوجهك خالصا ولا تجعل فيه نصيبا لأحد من خلقك .

أما بعد : قبل حديثنا عن موضوعنا لهذا الدرس , اتفقنا مع الإخوة في الإدارة – جزاهم الله خيرا – أن هذه المحاضرات بعد أن أتاكد من المادة التي سجلت وعدم وجود شيء يخالف شرع الله عز وجل أو كلمة أخطأنا فيها أو شيء من هذا القبيل , تسجل في (ذاكرات) ثم تسلم لكم إن شاء الله تعالى .

درسنا لهذا اليوم إن شاء الله تعالى بداية عن شرك الطاعة ، فأقول مستعينا بالله عز وجل : هذا الاسم – كما تعلم - مركّب من جُزئين : شرك و طاعة ، فما تعريفُ الشرك ؟ وما تعريفُ الطاعة؟ وما تعريف شرك الطاعة ؟

تعريف الشرك : جاء في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وأرضاه أنه سأل رسول الله ﷺ وقال : أيُّ الذنبُ أعظم ؟ قال الرسول ﷺ : **(أن تجعل لله ندّاً وهو خلقك)** مُتفق عليه .

ومعنى الند : الشبيه والنظير والمثيل ، فمن جعل لله ندا في ربوبيته فقد أشرك ، ومن جعل لله ندا شبيها في ألوهيته فقد أشرك ، ومن جعل لله ندا في أسمائه وصفاته فقد أشرك ، إذا هذا تعريف الشرك .

أما تعريف الطاعة : معنى هذه الكلمة عند العرب : الانقياد و الخضوع .

أما تعريفُ شرك الطاعة : فهو الإقرار بالدساتير والقوانين الوضعية والأعراف العشائرية ، فمن أقرّ بهذه الدساتير التي يُحكم بها البلاد والعباد والقوانين التابعة للدساتير وكذلك الأعراف العشائرية فقد أشرك بالله عز وجل ونوع الشرك هنا يُسمى : شرك طاعة .

قبل الدخول إلى الاستدلال على هذا النوع من الشرك ، لا بُدّ من معرفة ماذا يعني وجود الشرك في سجل الإنسان يوم القيامة ؟

يترتب على وجود الشرك في سجل الإنسان يوم القيامة ثلاث مسائل :

المسألة الأولى – أنّ هذا النوع من الذنب لا يغفره الله تعالى - ذنب غير قابل للمغفرة - والدليل قوله تعالى : **(إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا)** (النساء:48) إذاً أيَّ أمر دون الشرك قابل للمغفرة - تحت المشيئة - أما الشرك فغير قابل للمغفرة من الله عز وجل جزماً .

المسألة الثانية : وجود الشرك في سجل الإنسان يعني حبوط ثواب أعماله : أي أنَّ هذا الإنسان الذي أشرك بالله عز وجل (شرك دعاء ، شرك طاعة شرك محبة ، شرك إرادة وقصد ، شرك تمثيل ، شرك شفاعة ، شرك خوف) إذا وُجدَ في سجله شرك وله أعمالٌ كانت تدَرٌّ عليه بالحسنات كأن يكون كأي مُنتسب للإسلام ، كان يُصلِّي وكان يصوم ، يعتمر بل قد يكون حافظاً لكتاب الله عز وجل فهذه الأعمال لها حسنات لكن وجود الشرك يُبطل ثواب كُلَّ هذه الأعمال ودليل ذلك من كتاب الله عز وجل في سورة الأنعام : فالله سبحانه ذكر ثمانيةَ عشرَ نبياُ بالاسم ثم في نهاية هذا السرد من الأسماء المباركة قال : **(وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(88)** ومعنى حَبَطَ : أي بطُل ثواب أعماله ، وكذلك قال عن رسول الله ﷺ : (لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ) – الزمر (65) وحاشا لأنبياء الله أن يُشركوا بالله عز وجل وحاشا لرسول الله ﷺ أن يُشرك بالله عز وجل ، وإنّما هذا خطاب للأُمّة من خلال الأنبياء ، أفهمُ من هذه الآيات أنّ الإنسان مهما

بلغت منزلته عند الله عز وجل - كمنزلة النبوَّة وما إلى ذلك - فإذا وُجِد شرك فإنَّ هذه المنزلة لا تشفع لصاحبها بأيِّ حال من الأحوال لأنّ الشرك ذنب لا يغفره الله عز وجل .

وهنا يأتي السؤال : الله سبحانه عادل ، فإن كان الإنسان أشرك بالله عزَّ وجل نوع شرك ولكن كانت له أعمال منها حسنات كما ذكرت ، فكيف تكون عدالة الله عزّ وجل مع هذه الأعمال التي فيها حسنات ، وهذا الشرك الذي أبطلَ ثواب هذه الأعمال ؟ الإجابة في حديث النبي ﷺ قال : (**وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها) – رواه مسلم -** إذاً مُقابل هذه الأعمال التي هي أعمال حسنة ، الله تبارك وتعالى حكَمَ أنّهُ لا يبقى له شيءٌ يوم القيامة بسبب وجود الشرك ، لكن مقابل هذه الأعمال الحسنة يُعوِّضه الله تبارك وتعالى في أمورِ الدُّنيا ، قد يكون في المال أو في الزوجة أو في الصحة أو ما إلى ذلك , المهم أنه لا حسنة له في سجله يوم القيامة لأن الشرك يحبط ثواب العمل . - انتهينا من المسألة الثانية -

المسألة الثالثة : من وُجد في سجله شرك فقد حرّم الله عليه دخول الجنّة ، الآية الكريمة يقول الله تعالى : (**إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ**) – المائدة (72) - .

أنتَ تعلم أنَّ الدار في الآخرة إما دارُ نعيم أو دارُ عذابٌ و عقاب ، لا توجد دارٌ أخرى ، فطالما أنّ الله عز وجل قد حرَّم على من كان عنده شركيات دخول الجنّة ، إذاً ليس له إلا النار - والعياذ بالله - ، فإذا أحطنا علماً بهذه الآيات التي تُقرر مصير الإنسان بين يدي الله عز وجل ، إذاً من هنا يجب أن يكون تدقيقنا و تمحيصنا لمسألة الشرك ويجب أن نحيط بمفرداتها ومسائلها ودقائقها ، لأني إذا نجوت من هذا الذنب ، فما دون هذا الذنب قابلٌ للمغفرة بإذن الله ، المهم أن أنجو من الشرك الأكبر - ولا يتطرّق حديثي نحو الشرك الأصغر - إذاً ينبغي أن أعرف التفاصيل عن شرك الدعاء ، ينبغي أن أعرف التفاصيل عن شرك الطاعة ثم بعد ذلك أسأل نفسي : " هل تبرّأتُ من هذه الشركيات أم لا ؟ لأنّ الإنسان إذا دخل النار وهو غير مشرك بالله تعالى فإنه سيخرُج بإذن الله تعالى ، لأنّ الإنسان قد

يدخل النّار بسبب الذنوب والمعاصي لكن في نهاية الأمر الله تبارك وتعالى يمُن عليه ويُخرجه ، المهم أن لا يكون عندي شرك لو دخلتُ النار ، الأمل بالله عزّ وجل أنني لا أُخلّد في النَّار ، من هُنا يجب أن يكون الاهتمام بمسألة الشرك ، بدقائقها وتفاصيلها ومسائلها .

نأتي الآن إلى موضوعنا : شركُ الطاعة ، قلنا : الإقرار ، من أقرَّ بالقوانين وهذه الدساتير , بأنه يجوز أن يُحكم بها هذا أشرك بالله عزّ وَجل دليل ذلك من كتاب الله عز وجل في سورة الأنعام – آية 121 – (**وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ**)

قبل الدخول في تفاصيل هذه الآية ، لا بُدَّ من الإحاطة بسبب نزول هذه الآية ؛ لأنّ معرفة سبب النزول يُعينك على فهم الآية ، أما سبب نزول هذه الآية : الرواية عند الإمام الترمذي رحمه الله تعالى قال : عن ابن عباس رضي الله عنه قال : أتى أناس النبي ﷺ قالوا : نأكل ما نقتُل ولا نأكل ما قتل الله ، فأنزل الله عز وجل : (**وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ**) وقال الإمام الترمذي عن هذا الحديث : حسن غريب ، هذه من مفردات الإمام الترمذي ، هذا عن الإمام الترمذي , وكذلك ذكرهُ ابن العربي رحمه الله تعالى بهذه الصيغة في تفسيره ، أما ابن كثير , ذكر رواية عن ابن عباس رضي الله عنه وأرضاه وقال : أتى أُناسٌ النبيَّ ﷺ عندما أنزل الله عز وجل (**وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ**) ، قال : قال المجوس لقُريش " خاصموا محمداً وقولوا : ما تذبح أنت بسكين فهو حلال وما ذبح الله بشمشيرٍ من ذهب - يقصدون الميتة - فهو حرام ؟ " ، فأنزل الله عز وجل: (**وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ**) سبب النزول وَرَد عند ابن أبي حاتم رحمه الله مُرسلا عن سعيد بن جبير قال : إنّ اليهود خاصموا الرسول ﷺ ، ورواية أبي داود -موصلة - عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه قال إنّ اليهود خاصموا النبي ﷺ ، إذاً الآن استجدّت لنا روايتين تقول أن اليهود هم الذين خاصموا , وليس المجوس علّموا مشركين مكة ، ابن كثير رحمه الله تعالى رَدَّ الرواية التي تقول أن اليهود هم كانوا مبعث السؤال ، فقال : وفي

المسألةُ نظرٌ من ثلاثة وجوه - أي أن اليهود هم الذين خاصموا ، هذه المسألة بها نظرٌ من ثلاث وجوه - الوجه الأول : إنّ اليهود يُحرمون الميتة فكيف يخاصمون النبي ﷺ في الميتة – إذا لا يمكن أن يكون اليهود هم الذين خاصموا النبي ﷺ في هذه المسألة - ، أما الوجه الثاني : قال : الآية مكية - أي أنها نزلت في مكة - وأنت تعلم أنّ مكة شرّفها الله عز وجل وعظمها ما كان يوجد فيها ولا يهودي واحد ! , ثم ذكر ابن كثير سببا ثالثا - رحمه الله - قال : والرواية ذُكرت عند الترمذي بصيغة : أن أناسا أتوا النبي ﷺ ولم يذكر اليهود .

بعد أن ذكر هذه الأوجه الثلاثة قال : وقد ذكر الطبري – أي ابن جرير – رحمه الله تعالى رواياتٌ متعددة عن ابن عباس وليس فيها ذكرٌ لليهود ، ثم قال ابن كثير : " وهذا هو المحفوظ " أي : أن الذين جاؤوا هم قريش بتعليماتٍ من المجوس أو باندفاع من عندهم ، سبب النزول هذا ، قال الإمام الشنقيطي - رحمه الله تعالى رحمة واسعة - عنه قال : أجمع من يُعتدُّ به من أهل العلم ، أن سبب نزول هذه الآية : لانَّ المشركين قالوا لرسول الله ﷺ : كيف تأكلون شاتاُ أنتم تذبحونها ولا تأكلون شاتا قتلها الله عز وجل ؟ فأنزل الله تعالى : (وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ) ، إذا لاحظ معي في بداية الآية ، الآن اعلم أن الآية أشارت إلى تشريعين ، تشريعُ الله تبارك وتعالى : (وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ) ، أما التشريع الجاهلي الذي كان سائداً في مكة : أنهم كانوا يأكلون الميتة ، هذا تشريع المشركين ، فأمامنا الآن شريعتان ، شريعةُ الله عز وجل (وَلَا تَأْكُلُوا) وشريعةُ المشركين " كلوا من الميتة " الله تبارك وتعالى منعنا , ثم ذكر بعض الأمور في حال من يخالف شرع الله عز وجل ويطيع شريعة المشركين ، هذا التشريع المخالف " من أطاعه ما هو حاله ؟ " ، قال الله تبارك وتعالى : (وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ) أي إذا خالفتم شرعي وأطعتُم شرع المشركين وأكلتُم الميتة ، عملكم هذا فسق (وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ) ، معنى الفسق عند علماء أهل السنة والجماعة ، قال العزُّ بن عبد السلام رحمه الله تعالى في تفسيره : (الفسقُ : المعصية أو الكُفر) ، كذلك ذكر ابن جرير رحمه الله تعالى في تفسيره ، أما الإمام القرطبي رحمه الله

تعالى في تفسيره ، فقد نقل عن ابن عباس رضي الله عنه وأرضاهُ : (الفسقُ : معصية) ، رواية أُخرى عنه : (الفسق : الخروج) ، أمّا الإمام الشنقيطي رحمه الله تعالى فقد فسر الفسق بتفسيره لسورة الشورى ، قال : (الفسق : خروج عن طاعة الله تعالى واتباع تشريع الشيطان) ، إذا تخرج بمحصلة أن علماء أهل السنة والجماعة قالوا عن الفسق هنا : أنه معصية أو كُفر ، فلماذا هنا هذا التفسير لهذه الكلمة ؟ لماذا أحياناً يُقال أنها معصية ؟ وأحياناً كُفر ؟ لأنَّ الفسق ينقسم إلى قسمين ، إما أنَّهُ فسق أصغر لا يخرج صاحبه من المِلة ، فالفسق الأصغر دليله من كتاب الله عز وجل في سورة البقرة - آيةِ الدين - ، (وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ) ، معنى هذه الآية : أنَّ رجلاً إذا أعطى ديناً لرجل وجاؤوا بكاتب وجاؤوا بشاهدين ، الله عز وجل يقول : لا يجوز للدائن ولا للمدين أن يضرّ الكاتب أو يضر أحدا من الشاهدين ، إذا أضررتم الكاتب أو الشاهد عملكم هذا فسق ، يقيناُ هذا الفسق لا يُخرج صاحبه من ملة الإسلام ، فماذا يُسمى هذا النوع من الفسق ؟ يُسمى فسقٌ أصغر ، أما الفسق الأكبر ، دليله قول الله تعالى : (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا) – الكهف (50) .

إذا إبليس عندما عصى الله عز وجل ولم يُطعه في السجود لآدم ، سمّى الله معصيته فسقاً ، هذا النوع من الفسق يُخرج صاحبه من الملة ، إذاً أحياناً الفسق معصية وأحياناً الفسق عمل مخرج من الملة .

في مسألة الميتة ، الآية التي تحدثنا عنها ، جاء رجلٌ وأكل من الميتة وقال : " أنا أعلم أن الله حرمها " ، فسقه هذا فسق أصغر ، مُرتكب لكبيرة لماذا ؟ لأنه يقرُّ بالحُرمة ، ولكنّه يعصي أمر الله عز وجل ويأكل ، هذا فسقٌ أصغر ، رجلٌ آخر ما أكل من الميتة وقال : الميتة حلال ، هذا يَخرُج من الملة , لماذا ؟ لأنه أحلَّ ما حرَّم الله عز وجل ، والقاعدة عند أهل السنة والجماعة كما ذكرها الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى في عقيدته : (لا نُكفّر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحلّه) ، إذا جئنا للذنوب , المسلم الذي يرتكب هذه الذنوب يبقى في دائرة الإسلام لكنه فيه فسق ، أما إذا قال

عن الحلال حرام أو عن الحرام حلالاً , هذا يخرج من الملة ؛ لأنه خالف شرع الله عز وجل وجاء بتشريع مخالف لشرع الله عز وجل ، أبو محمد المقدسي زاد على هذه القاعدة قَيد وقال : (لا نُكفّر أحداً من أهل القبلة بذنب غير مكفر ما لم يستحلّه) ، عندما نأتي إلى بعض هذه التفاصيل نشير إلى فائدة هذا القيد إن شاء الله تعالى .

إذاً (**وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ**) , الآن من وافق أن يُحكم بالقوانين والدساتير هل هذا فسقه فسق أصغر ؟ أم فسق أكبر ؟ هذا فسق أكبر ودليل ذلك قول الله تعالى في نهاية الآية ، قال : (**وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ**) ، الله سبحانه وتعالى حكم عليهم بالشرك ومن حكم الله عليه بالشرك لا يكون شركه أصغر ، هذا الدليل الأول .

أما الدليل الآخر ، فإن من أقرّ بهذه القوانين ، فقد جعل من واضعي هذه القوانين أندادا لله عز وجل , كيف ؟ وضعُ الأحكام من اختصاص عز وجل لا يجوز لأحد أن يضع تشريعاً لأحد إلا الله عز وجل ، دليل ذلك في سورة يوسف , يقول الله تعالى : (**إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**) - يوسف (40) -

عندما نأتي إلى هذه الآية سنتوسع فيها بإذن الله تعالى ، إذا هذه الآية خصّت وضع الأحكام بالله تبارك وتعالى ، فلا يجوز لأحد غير الله أن يضع تشريعا ، فإذا جاءت لجنة كتابة الدستور ووضعت دستورا والإنسان وافق على هذا الدستور ، إذا هو اتخذ من واضعي الدستور إلهاً ؛ لأن الذي يضع التشريعات والقوانين إله ، فإما أنه ربنا وإما أنه أعطى نفسه خصوصية من خصوصيات الله عز وجل ، ومن أقرّ بشرع الله عز وجل و أقرّ بالقانون فقد جعل لنفسه إلهين : الله عز وجل في تشريعه ، وهؤلاء في قوانينهم ودساتيرهم ! من هنا يكون عملهم فسقاً أكبر مخرج من المِلة ، إذاً (**وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ**) .

ثم قال : (**وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ**) ما لمقصود بالشياطين هنا ؟

ذكر ابن كثير رحمه الله عن عكرمة رحمه الله تعالى قال : (المقصود بالشياطين هنا : مَرَدة الإنس من مجوس فارس) وذكر رواية أخرى عن

ابن عباس رضي الله عنه قال : (الشياطين هنا : الجن) لماذا هذا التباين في حملِ الشياطين هُنا بين شياطين الإنس وشياطين الجن ؟ لأنَّ الله عز وجل قد ذكر هذين الصنفين فقال : (**شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً**) – الأنعام (112) - ، إذاً هناك شياطين إنس و هناك شياطين جن .

أما الإمام الطبري رحمه الله رحمة واسعة في تفسيره فقال : والصواب في قوله ذلك أن يُقال " أنّ شياطين الإنس يوحون إلى أوليائهم من الإنس ويجوز أيضا شياطين الجن يوحون إلى الإنس " وقال : " يمكن أن يكون الأمر من الصنفين " ، أي : أن شياطين الجن وشياطين الإنس يوحون إلى أوليائهم .

إذا علمنا من الآن المقصود من الآية الكريمة ، ثم قال : (ليوحون) ، أي الشياطين يوحون إلى أوليائهم ، الأولياء هم : الأنصار والمحبون ، أما معنى الوحي من الشيطان إلى أوليائه هنا , الوحي كما جاء في مُختارِ الصحاح ، قال : الوحي هو الإلهام أو ما يُلقى من كلام خفي أيضاً يُسمى وحياُ ، هذا الوحي بهذا المعنى ينقسم إلى قسمين : وحي رباني من الله عز وجل إلى من يشاء من خلقه ، ووحي شيطاني من الشيطان إلى أوليائه ، الدليل عن الوحي الرباني ، هناك وحي من الله عز وجل إلى أنبيائه ورسله كما في قوله تبارك وتعالى : (**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا**) – النساء (163) - هذا ماذا يُسمى ؟ وحي رباني من الله إلى الرُّسُل ، لكن أحياناُ يوحي الله عز وجل إلى غير الأنبياء كما في قول الله تبارك وتعالى : (**وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي**) – المائدة (111) - الحواريون هم الناس الذين كانوا مُقرّبين من نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام ، ما معنى الوحيُ هنا ؟ أن ألقى الله في صدورهم هذا الكلام ، هناك وحي ثالث من الله عزّ وجل إلى بعض من خلقه ، كما في الآية في سورة النحل : (**وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ** **(68)** هذا تعليم من الله عز

وجل لهذا المخلوق سماه الله عزّ وجل وحياً ، إذاُ الوحيُ الرباني من الله عز وجل إلى من يشاءُ من عباده .

النوع الثاني من الوحي الشيطاني إلى أوليائه ، ودليله قول الله تعالى : (وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ) ، وكذلك قوله تعالى : (شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً) – الأنعام (112) - .

جاء رجل إلى ابن عباس رضي الله عنه قال : إنّ المختار الثقفي يزعمُ أنه يأتيه الوحي ، - المُختار الثقفي هذا ابن أبو عبيدة الثقفي ، والدهُ قائد معركة الجسر في القادسية ، لكنّهُ بعد ذلك خرج يأخذ بثأر الحسين ثم ادّعى النُبوَّة فكان يزعم أنّهُ يأتيه الوحي - ، فقال ابن عباس : " نعم" ، أي صحيح أن المختار يأتيه الوحي ، ثم تلا قول الله عز وجل : (وإن الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ) ، هذه الولاية بين الشيطان و بين هؤلاء كيف تتحقق ؟ لأنّ الشيطان إذا تولّى فئة من الناس أو الناس تولّوهُ فإنَّ الشيطان يكون لهُ سطوة وسلطة على هؤلاء .

ما مداخل الشيطان حتى يكون بعض الناس أولياءٌ له ؟

هناك أربعة أبواب (الشيخ ذكر خمسة أبواب) يمكن للشيطان أن يدخل من خلالها إلى بعض الناس ويتخذهم أولياء .

الباب الأول : إذا كان هناك خلل في الإيمان ، هذا باب واسع يدخل الشيطان منه إلى أصحاب هؤلاء – أصحاب الخلل - ويتخذهم أولياء له .

الباب الثاني : خلل في التوكل على الله عز وجل ، الباب الثالث : أو خلل في الإيمان والتوكل .

الباب الآخر أو الرابع : إذا وُجد عند الإنسان شرك فهذا باب للشيطان واسع يدخل من خلاله ويتخذ هؤلاء أولياء له .

الباب الخامس : الذنوب و المعاصي باب للشيطان كي يتخذ هؤلاء أولياء له .

ما هو الدليل على هذا الكلام الذي قلته ؟

يقولُ الله تبارك وتعالى : (**إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (99) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ (100)**) – النحل - .

إذاً إذا وُجد الإيمان فهو فمانعٌ للإنسان أن يكون من أولياء الشيطان ، إذا وُجد التوكل الصحيح ، فهو مانعٌ للإنسان أن يكون من أولياء الشيطان . إذا تحقق هذان الأمران لا يمكن أن يكون الإنسان من أولياء الشيطان ، كذلك إذا انتفى الشرك عن الإنسان فلا يُمكن أن يكون من أولياء الشيطان .

هذه أربعة أسباب ، أما السبب الخامس : الذنوب و المعاصي باب من أبواب الشيطان كما ذكرت لك : (**فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**) – النحل (63) - ، إذا بسبب الذنوب والمعاصي , يأتي بالذنب ثم يرى أن هذا الذنب الذي يأتي به عمل مقبول وعمل صحيح و يُثنى عليه ، أمثال هؤلاء هم من أولياء الشيطان .

إذاً كل من أتى بمنكر مخالف للشرع ، ثم رأى أن هذه المخالفة الشرعية مقبولة مزينة ، فهذا من أولياء الشيطان ، إذاً علِمتَ أن الشيطان يُوحي وعلمتَ أيضاً أن للشيطان أولياء وعلمت كيف يتخذ الشيطان أولياء .

بعد ذلك ذكر الله تبارك وتعالى : لماذا الشياطين يوحون إلى أوليائهم ؟ ما الغاية من هذا الوحي ؟ قال : (**ليُجادلوكم**) اللام هنا للتعليل .

معنى الجدال في مختار الصحاح قال : (الجدل : شدة الخصومة) أما تعريفُ الإمام القُرطبي رحمه الله تعالى للجدال قال : (دفعُ القول عن طريق الحجة والقوة) ما معنى هذا الكلام ؟؟

إمّا أن يكون الإنسان صاحب حق , وإما أن يكون صاحب باطل ، فإذا أراد أحدهم أن يدفع صاحبه : صاحب الحق إذا أراد أن يدفع صاحب الباطل بالحجة , وبعد ذلك بالقوة هذا يُسمى جِدال ، كذلك لو أراد صاحب الباطل أن يدفع صاحب الحق بالحجة أو بالقوَّة , هذا أيضاً يُسمى جدال ،

إذا الجدال اسم مشترك بين الجدال الحسن والجدال القبيح ، فاسم الجدال يُطلق على الجدال الحسن والجدال القبيح .

ما الدليل على هذا التقسيم ؟ يقولُ الله عز وجل : (**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**) – النحل (125) - إذاً هناك جدالٌ حسن أن تدفع قولهم بالحجة ، فإذا تطلّب الأمر بعد ذلك أن تدفعهم بالقوّة ، كذلك يقولُ الله عز وجل : (**وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**) – العنكبوت (46) - هل الرسول ﷺ دفع بالحق الذي كان عنده باطل المشركين بالحجة والقوة ؟ نعم ، ثلاثة عشر سنة وهو يدعوا مشركي مكة بالحجة ثم بعد الهجرة أذِن الله له بالقتال ، فبدأ يدفع ذلك الباطل بالقوّة ، إذا لا نقتصر نحن المسلمون في دفع الباطل على إقامة الحجة فقط ؟ فإذا استوجب الأمر بعد ذلك أن نلجأ للقوة لدفع هذا الباطل يجوز لنا ذلك لأن ذلك هدي رسولنا ﷺ, إذاً جدالٌ حسن .

الجدال القبيح المذموم وهو أن يأتي صاحب الباطل ويحاول أن يدفع صاحب الحق بباطله .

دليل ذلك في كتاب الله عز وجل في سورة الكهف : (وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ) (56) وكذلك في آية أُخرى ، يقولُ الله تبارك و تعالى : (**وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ**) – غافر (5) - .

هذا الآن حاصل في أرض الواقع ، فالمجاهدون في سبيل الله أقاموا الحجة على أنّ ما نحنُ عليه هو الحق ، نريد أن نحكم بشرع الله عز وجل ، وأن تكون كلمة الله هي العُليا ، أقاموا الحجة على ذلك وثم قرنوا إقامة الحجة بالقوة وحاولوا أن يدفعوا الباطل بكل ما أوتوا, إذا جادلوا بالتي هي أحسن.

كذلك - مقابل ذلك - ، أهل الباطل يُدافعون عن باطلهم بالحجة وكذلك بالقوّة ، أما الحجة فعن طريق علماء السلاطين وعن طريق علماء الفضائيات وكان في مدينتنا اثنان منهم أبو حارث و أبو صفوة إذا تذكروهم ! هؤلاء أرادوا أن يدفعوا الحق بالباطل , كيف ؟ عندما جعلوا

من الطواغيت هؤلاء أمراء طاعتهم واجبة ، في ذلك الوقت كان إياد علاوي , وما أدراك ما إياد علاوي ؟!

قالوا : هؤلاء طاعتهم واجبة ، ثم أضافوا إلى ذلك وقالوا : الذي يُجنَّد في وزارة الدفاع وفي وزارة الداخلية هؤلاء يُعتبرون مجاهدين مرابطين ، أما من يخرج عن هؤلاء الحُكّام و يُريد أن يُقاتلهم هؤلاء يُسَمُّون خوارج ثم قالوا : من يُقتل من الجيش ومن الشُّرطة له أجرُ شهيدين ، ومن يُقتلُ من الخوارج هؤلاء ،- قالوا - : هؤلاء خوارج كلابُ أهل النّار ، ثم جاؤوا بكُلِّ الأحاديث التي قالها الرسول ﷺ في الخوارج .

إذاً حاولوا بهذا الباطل أن يدفعوا هذا الحق بالحجة ثم قرنوا هذه الحجة بالقوَّة ، جاؤوا بوزارة الدفاع ، جاؤوا بالأمريكان ، جاؤوا بالشرط ، جاؤوا بالجواسيس ، جاؤوا بالمعاونين لهم وحاولوا بالقوَّة أن يدفعوا هذا الحق , إذاً (**وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ**).

في نهاية الآية قال الله تبارك وتعالى : (**وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ**) أي : إذا خالفتم تشريعي قلت (**وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ**) وأكلتم من الميتة طاعةً لتشريع أولئك المشركين , أنتم بهذا العمل - الطاعة - قد أصبحتُم مشركين .

هناك التفاتة طيبة للإمام الشنقيطي رحمه الله تعالى في هذا الجزء من الآية قال : في الآية قَسَم محذوف ، ما هُو ؟

قال : أن أداة الشرط " إن " تحتاج إلى فعل شرط وتحتاج إلى جواب شرط كما نقول : إن تدرس تنجح ، هذا الفعل إذا أتيت به يتحقق لك النجاح بإذن الله ، في الآية الله قال : (وإن أطعتموهم) إن أداة شرط ، أطعتموهم فعل الشرط ..

ما هيَ النتيجة المترتبة على هذه الطاعة ؟ قال (إنكم لمشركون) هذا ليس جواب الشرط .. لماذا ؟ قال : لأنَّ جواب الشرط لم يكن فعل مضارع ،

لأن جواب الشرط إن كان فعل مضارع فإنه لا يحتاج إلى فاعل ، أما إذا كان فعل ماضٍ أو أمر أو شبه جملة فيجب أن يُقترن بالفاء في اللغة العربية ، فلو كانت الآية (وإن أطعتموهم فإنكم لمشركون) ، كان يجوز أن نقول (فإنكم لمشركون) جواب الشرط ، فبما أنَّ الفاء لم تُذكر هُنا ، إذاَ (إنّكم لمشركون) ليست جواب الشرط ، فأينَ جواب الشرط إذاً ؟

قال : جواب الشرط قَسَم محذوف ، تقديره (وإن أطعتموهم فوَالله إنكم لمُشركون) .

إذاً الآية الآن دلّت على مجموعة من المسائل .

المسألة الأولى : أنَّ هذه الآية موجهة إلى المُسلمين ، تُخاطب المسلمين وليس المُشركين ، لأنه لا يُمكن أن أقول لمُشرك (إن أطعت المشركين في تشريعاتهم تكون مشرك مثلهم) !

هذا كلام باطل ، حاشا لله عز وجل أن يكون كلامه كذلك ، إنما هذه الآية جزماً موجهة إلى المُسلمين ، يقول الله تبارك وتعالى للمسلمين : لا تُطيعوا التشريعات الأخرى ، التي تُوضع من قبل الآخرين وتتركوا شريعتي ، فإن أطعتُم هذه التشريعات إنكم لمُشركون , إذا الآية موجهة للمسلمين حصرا .

الشيء الآخر المُستفاد من هذه الآية : أن نعلم - جازمين - أنَّ كل تشريع يوضع غير شرع الله عز وجل من أي جهة كانت أو أي مصدر كان إنما هوَ تشريع شيطاني ، لأنَّ الله سبحانه وتعالى قال : (**وإنَّ الشياطين ليوحون إلى أوليائهم**) , هذه المسألة الثانية التي نقف عندها إزاء هذه الآية.

المسألة الثالثة : أن من أقرَّ تشريعاً غير شرع الله عز وجل أو وافق أو رَضِي ، هذا حَكَمَ الله عليه عز وجل بالشرك وحيا في القرآن ، لأنه في آخر الآية قال : (**وإن أطعتموهم إنكم لمشركون**) ، إذاً الحكم بالشرك هنا وحياً من الله عز وجل في القرآن فعندما آتي وأقول : أنَّ من يُطيع القوانين والدساتير مشركين , هذا ليس قولي ، هذا قول الله عز وجل , وإنما أنا

ناقل لما قاله الله عز وجل فالحُكمُ حُكمُ الله ونحنُ ننقل حكم الله عز وجل من باب البيان وإقامة الحجة.

أُشير إلى مسألة أخيرة وهي : أن من ذهب في الأيام والسنوات الغابرة ووافق أن يُحكم بهذه القوانين عليه أن يتدارك نفسه فقد ارتكب شرك ، ومن فضل الله عز وجل على من وقع في هذا الشرك أنَّ الله أَمَدَّ في عمره إلى أن تهيأت له فرصة التوبة ، فمن قال للدستور " نعم " فقد أشرك بالله عز وجل ونوعُ الشرك شرك طاعة ، فعليه أن يتدارك نفسه ويتوب إلى الله عز وجل من هذا الشرك الذي وقع فيه .

أقولُ قولي هذا و أستغفر الله لي ولكم وجزاكم الله خير الجزاء وبارك فيكم.